بلا غــد

بخجلٍ شديد يدنو شفتيه من أذنه هامسًا : الساعة داخلة على واحدة يا عم حسن، أنا مضطر ألم الكراسي، ربنا يصبّرك ويعوض عليك.

ينهض خاوىّ النفس يجر قدميه، وثلاثة أطفال يتعلقون بيديه وطرف جلبابه، يدفع بابًا خشبيًا، يمضي في خطىً ثقيلة صوب غرفته، متجاوزًا الردهة المشتركة بينه وبين جيرانه في الثلاث غرف الأخرى، يغيب داخلها، تلاحقه ظلال أطفاله، يتوارى جميعهم خلف بابٍ خشبي آخر، يشير بإصبعه إلى أكبرهم أن يتوسد فراش السرير خلفًا لأمه، ومانحًا براحًا إضافيًا لأخويه أسفل السرير بعطفٍ وحنوٍ طفولي يسأله: هو أنت مش هتنام يابا؟

يجيبه دون أن يرفع إليه بصره، متحاشيًا أن يرى دموعًا لا تزال تنحدر على خديّه :شوية كده يا أحمد يا ابني، هأدخن نفسين وبعدين يحلّها ربنا من عنده.

يتوارى الصغيران أسفل السرير، والكبير يلتف بملاءةٍ مهترئة، يتشمم ما تبقى من رائحة أمه، ويقاوم نعاسًا لا سبيل إلى مغالبته يجلس عم حسن مقرفصًا داخل جلبابه، عيناه تعدان مساحاتٍ خاليةٍ من طلائها في سقف غرفته، تتهاوى نظراته التائهة منحدرةً مع دمعاته، تستقر على إسطوانةٍ حديدية في زاويةٍ من الغرفة، يغالب إبتسامة ساخرة فرضت ملامحها على شفتيه، يتذكر أهل العطفة وهم يحيطون بموظف الدولة، التي أرسلته

معزيًا، وحاملًا إليه إسطوانة ملأى، تعويضًا عن فقده لزوجته إثر صراع دموي عند المستودع الحكومي، ورفضه منحه الإسطوانةَ إلا بعد تسلمه لأخرى فارغة، يهمهم: والله فيهم الخير؛ يبتسم إبتسامة بلهاء مُحدثًا نفسه

" وحدي دونًا عن أهل العطفة جمعيهم فزت اليوم بإسطوانة غاز يتساءل " ترى من يفوز غدًا بأخرى لقاء زوجته أو ابنٍ من " ابنائه؟

يتساءل :" ماذا سيفعل غدًا أو بعد غدٍ عندما يأتي عم سعد مطالبًا باسترداد إسطوانته؟ "

ينهض، يتجه صوب الزاوية، يفتح صمام الإسطوانة، ينزع الوصلة الجلدية، يعود إلى زاويته ويجلس القرفصاء، يعبث بأصابعه داخل الجيب العلوي لجلبابه، يلتقط عقب سيجارته، تنزلق يده اليسرى داخل الجيب السفلي، يقبض على عود ثقاب، يضع السيجارة في فمه، يخالها تهمس متحدية:

"!! لن تستطيع إشعالي "

" أعرف ذلك " ويشعل الثقاب يتمتم في هدوء وثقة

* * *